

## تاريخ فنون الحديث<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل من السنة تبيانا للكتاب. ونورا يهتدي به أولوالالباب،  
وبعث اليها من الخفايا المتقنين، والرواة الصادقين، والنقذة البصيرين، من  
قام بصادق خدمتها، وحفظ عليها جلال حرمتها، ونفى عنها تحريف الغالين،  
واتسهال المبطلين، وتأويل الجاهلين، (١) وصانها من أفك المفتريين، ودغل  
الدجالين، تحفظت على مر العصور، من يدالذئور، وصيقت - بمناية الله - من  
أرباب القصور. فله مزيد الحمد والمنة على ما حفظ من معالم دينه وسبل رشاده،  
وعلى صفيه وخليفه محمد بن عبد الله صلواته وسلامه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم  
باحسان الى يوم الدين

«وبعد» فان من لاعلم له بالكتاب والسنة لاحظ له من الملة الحنيفية،  
والشريعة المحمدية، وليس له من نور الهداية ومصباح النبوة ما يهتدي به في ذي الجير  
الشبهات، وفلمات الترهات، وان صدره لتفل من برد اليقين، وعقله بهزل من  
اصابة الحق المبين، وقلبه خلو من واعظ الايمان، وخشية الديان. فانخير كل الخير  
في اتباع الكتاب والسنة واقتفاء هديهما، والاغتراف من بحرهما الواسع، وجودها  
الصائب، ولاشيء أهدي للنفس وأجلب لسعادتها، وارحى لطهارتها، من تقهم  
هذين العنوين والمكوف على درسهما، وتدبر معانيهما، والنهوض الى مفزاهما، فهناك  
طهارة القلب، وصفاء العقل، وكامل النفس

فكان خليقا بالملء ورواد الدين أن يجملرا مة صدهم الاسمي وفايتهم القصوي  
معرفة هذين الاصلين، والاستظلال بظل هاتين الدوحتين، والاحتماء بجمها وابتقاء  
الهداية من سبيها. ولكن - وأسفاه - صرفوا عنها المناية وولوا وجوههم  
نحو الفروع وما اليها، وتحكروا بها في كتاب الله وسنة رسوله (ص) فأثروا الفروع

(١) رسالة منها الشيخ عبد العزيز المولي الطالب في السنة النهائية، مدرسة القضاء الشرعي  
(٢) روى البيهقي المدخل من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العنزي مرسلا قال قال رسول  
الله ﷺ من يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين واتسهال المبطلين  
وتأويل الجاهلين

على الأصول ، وقدّموا آراء الرجال على قول الله وقول الرسول . وما ذك إلا اعراض  
لمقام الكتاب والسنة ؛ وتغال في وضع الآراء مواضع النصوص ، وانه خطأ - لو  
يملون - عظيم تنكره أسو لهم ، وتأباه عليهم - لو أنصفوا - عفو لهم  
ومن عجيب أمرهم أن يمدوا من كبار المفسرين من درس مثل تفسير  
الجلالين أو النسفي دون أن تكون له ملكة فهم في القرآن وذوق يدرك به  
سرفصاحته وكمال اقتدار على تطبيقه على سير الناس ومعاملاتهم . وأعجب من  
ذلك أن يمدوا بخاري زمانه ومسلم أو انه من مر على صحيح البخاري مر السحاب  
دون أن يطلق لنفسه المنان في تفهم الأحاديث واستنباط الأحكام ومقارنة ذلك  
بأهلام المتقدمين وما استنبطوه منها . وابن صحيح البخاري من كتب الصحاح  
والتسايد والأجزاء التي يكاد يخطئها العد ولا يضبطها الحساب ؛ وان من المضحكات  
المبكيات أن تسأل كثيراً من العلماء عن أسماء الكتب الستة فلا يجبر جواباً كأن  
ذلك ليس لديه من الدين في ورد ولا صدر ولا قبيل أو دير ، فلا حول ولا  
قوة الى بالله

تنكرت معالم الدين ، وطبق الجهل على المنتسبين اليه ، وسادت الفروع وعبدت  
لها الأصول . وأنكر على المؤثر لها ، المقتضي هديها ، فزال جلال الدين من النفوس  
وكاد يرحل من دور القضاء ، ويهاجر من أرض المعاملات  
فكل ذلك دعائي لان أجعل رسالي التي أقدمها لمدرسة القضاء في السنة  
الختامية ، في تاريخ فنون الحديث - والكشف عما طرأ عليها من جمع وتصنيف  
وترتيب وتهذيب وشرح وتبيين حتى تشمل لك - أيها القاريء الكريم -  
صورة واضحة ترى فيها كتب السنة مائة ، وتلمح في ثناياها تلك الخدمات الجليلة  
التي أداها للسنة سلفنا الصالح ، وتبصر في أساريها رفيع مقام السنة وناصح  
بياضها وجميل أمرها . واني وان لم أسبق الى هذا النوع من الكتابة - حسب  
ما أعلم - ولم يعهد أحد قبلي صمابه فان أملي في الله عظيم ورجائي في واسع  
فضله كبير ان يسدد لي خطاي ، ويوقني لمساعي ، ويمدني بروح من عنده  
يهديني بها قصد السبيل ، انه نعم المولى ونعم النصير

مضى تاريخ السنة

السنة في اللغة الطريقة المسلوكة من سنت الشيء ، بالسن إذا أمرته عليه

حتى يؤثر فيه سناً أي طريقاً . وهي إذا أطلقت تنصرف الى الطريقة المحسوسة وقد تستعمل في غيرها مقيدة كقول النبي (ص) «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» رواه مسلم وتطلق في عرف الشرعيين على قول النبي (ص) وأفعاله وتقريراته — عدم انكاره لاصراً أو بلفظه من يكون منقاداً للشرع فهي مرادفة للحديث . وأعني بتاريخها الادوار التي تقلبت فيها من لدن صدورها عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم الى ان وصلت اليانا من حفظ في الصدور ، وتدوين لها في الصحف ، وجمع المنشور لها وتهذيب لكتيبها ونقي لما اندس فيها ، واستنباط من عيونها ، وتأليف بين كتيبها ، وشرح لغامضها ونقد لرواياتها — الى غير ذلك مما يعرفه القاعون على خطمتها والعاملون ، على نغم رايها

## ادوار تاريخ السنة

حفظها في الصدور . تدوينها مختلطة بالتساوي . افرادها بالتدوين  
تحريره الصحيح . تهذيبها بالترتيب والجمع والشرح . فنون الحديث  
المهمة وتاريخ كل علم وأحسن المصنفات فيه .  
ومنقب ذلك بجماعة فيها مسائل قيمة

### مكانة السنة من الكتاب

قبل أن نشرح في موضوعنا تقدم لك بين يديه فصلانين فيه مكان السنة من الكتاب ومازلتها منه حتى تنجلي لك مكانة الموضوع الذي نحن بصدده فنقول وبالله توفيقنا وعليه اعتمادنا

ان السنة عملين (١) تبين الكتاب (٢) والاستقلال بتفريع الاحكام . أما الاول فلقوله تعالى ( وأنزلنا اليك الذكر «القرآن» لتبين للناس ما نزل اليهم ) فلا سبيل الى العمل بجمل الشرائع التي تضمنها الكتاب الا ببيان من المصنوع يفصل بجملة ويوضح مشكاتها ويميز محتملها ويقيد مطلقها . وكيف تراك معلو اذا وقعت الى ما نطلق به الكتاب فحسب ولم تخرج عن السنة فتتصرف أوقاتها وهدد ركاتها وسجداتها وما يقيمها أو يبطلها الى سائر أحكامها وكثيراً ما يعاها